أهمية سجلات بيت المال في دراسة واقع الجماعات الوافدة على مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني "جماعة البساكرة نموذجا"

The importance of the Bait Al-Mal archives in the study of the reality of the groups entering the city of Algiers at the end of the Ottoman era "The Bsakra group as a model"

سعدون بخاخ – طالب دكتوراه saadoun.bekhakh@univ-tlemcen.dz	تاريخ الجزائر الحديث	جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان - الجزائر
سعاد يمينة شبوط – أستاذ التعليم العالي souadchebout@yahoo.com	تاريخ الجزائر المعاصر	جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان - الجزائر

DOI :

الإرسال: 2022/03/17 **القبول**: 2022/05/29 **النشر**: 2022/07/01

ملخص:

عرفت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني تنوعا في التركيبة الاجتماعية حيث اشتملت على الأتراك، الحضر الكراغلة، أهل الذمة بما فيهم الأحرار أو العبيد، زيادة على الزنوج وكذلك الوافدين من دواخل المدن، في إطار الهجرة الداخلية وفي إطار العلاقة بين المدينة والريف، وقد أطلقت على هؤلاء الوافدين من المناطق الداخلية تسمية البرانية، ونشير هنا الى تحكم عدة عوامل سياسية واقتصادية وأخرى اجتماعية في تنوع هذه التركيبة يطول ذكرها في هذا المقام، وبما أنه يتعذر علينا أيضا تتبع أوضاع وحياة جميع هذه الفئات بشيء من التفصيل في هذا المقال، فإننا سنختار نموذجا من الفئات الوافدة على المدينة متمثلا في جماعة البساكرة، وستكون دراستنا حولها انطلاقا من نماذج تخص سجلات بيت المال المحفوظة على مستوى الأرشيف الوطني الجزائري، حيث عملنا على انتقاءها في إطار اطلاعنا واشتغالنا على هذا الرصيد للتأكيد على أهمية هذا المصدر في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، وتعد هذه الأخيرة من المصادر المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها لما تحتويه من معطيات تاريخية قد لا نجد لها ذكرا في المصادر التاريخية الأخرى المتعلقة بنفس الفترة.

كلمات مفتاحية: الجزائر؛ الأرشيف؛ سجلات؛ العهد العثماني؛ البساكرة.

Abstract:

The City of Algiers witnessed a diversity in the social structure during the ottoman period ,where we find Turks ,Hdars ,Koulouglis ,the christians whether they are free (consuls-traders-travelers) or slaves ,the Jews ,and the arrivals from the inner cities , who were called Berranis ,this diversity is due to several political ,economic and social factors ,Within the framework of internal migrations and within the framework of the relations between the city and the countryside ,Given that is not possible to study all this groups in this article ,We will choose a model among the groups that came to town, represented by the Bsakra group, and our study on it will be based on models linked to the Bait Al-Mal archives kept at the Algerian National Archives. We chose it as part of our review of this documentary background to clarify the importance of this source in social and economic history ,The latter is considered one of the important sources that we cannot do without due to the historical data it contains and which we may not have mentioned in other historical sources related to the same period.

Keywords : City of Algiers; Archive; Biskris; Berranis; period ottoman.

مقدمة:

تعد الفترة العثمانية في الجزائر من أهم الفترات التاريخية التي برزت فيها مكانة الجزائر الدولية والإقليمية، وبرزت فيها مدينة الجزائر كعاصمة سياسية للإيالة، وأصبحت وجهة للقناصل والديبلوماسيين في إطار العلاقات الدولية المتأرجحة بين الوفاق والخلاف والأمر نفسه بالنسبة لرجال الدين ومفتدي الأسرى، دون أن ننسى من مرّ على المدينة من رحالة ومكتشفين، لتصبح أدبيات كل هؤلاء مصدرا لا غنى عنه لكتابة تاريخ هذه الفترة.

وبحديثنا عن تاريخ هذه الفترة ومصادره فالحديث لا يكتمل والرؤية لا تتضح دون الحديث عن الوثائق الأرشيفية، التي هي بمثابة مادة خام يستنطق المؤرخ ما ورد فيها لتكييفه مع موضوع بحثه وفق المنهج التاريخي، وبما أن هذه الأخيرة كثيرة ومتنوعة بتنوع السياقات التي كتبت فيها زيادة على تعدد اللغات التي كتبت بها، وهو ما يعكس مدى انفتاح الجزائر على عالمها الخارجي لذا فإننا قد ارتأينا ضمن هذه الورقة البحثية أن نخص بالذكر عينة من العينات المحفوظة على مستوى الأرشيف الوطني الجزائري والمتمثلة تحديدا في سجلات بيت المال، وهي المتواجدة ضمن الرصيد المتعلق بالفترة العثمانية على غرار سجلات المحاكم الشرعية وسجلات البايلك وكذا دفتر مهم.

يأتي تقييد هذه السجلات انطلاقا من حرص مؤسسة بيت المال على حفظ ممتلكات الغائبين الذين لا وارث لهم، وللإشارة فإن عوامل هذا الغياب عديدة منها الغياب بسبب الأسر أو العمل أو طلب العلم وتأدية فريضة الحج، وغيرها من الأسباب التي تفصح عنها هذه السجلات أحيانا وتسكت عنها أحيانا أخرى، كما نشير أيضا أن مختلف شرائح المجتمع بوظائفها وانتماءاتها ترد ضمن هذه السجلات فنجد الحكام والموظفين والتجار وأهل الذمة والعناصر الوافدة على المدينة، والحديث هنا يشتمل العنصر الرجالي والعنصر النسوي.

إن المطلع على ما أنجز من دراسات أكاديمية كانت هذه السجلات مصدرا رئيسيا فيها يقف على أصالة ما قدم فيها لأن ما يرد من معلومات في هذه السجلات قد لا يرد في المصادر الأخرى ، ولسنا هنا بغرض تقييم ما أنجز من دراسات في المجال لأن الأمر يحتاج الى وقفة أخرى، وإنما غرضنا التأكيد على أهمية هذه السجلات في كتابة تاريخ الجزائر خلال هذه الفترة، وبناء على هذا فإن منهجنا في هذه الدراسة يقتضي أولا تقديم تعريف عن رصيد بيت المال انطلاقا من اشتغالنا عليه في زياراتنا الميدانية لمؤسسة الأرشيف الوطني، ونظرا لكثرة سجلات هذا الرصيد (64 رصيد كما سنأتي على تفصيله) ارتأينا الى تخصيص سجلين للدراسة (السجلين 8-9 من الفيلم 2)، ونظرا لتعدد الفئات الاجتماعية الواردة في هذا السجلات، ارتأينا أيضا أن نخص بالبحث جماعة البساكرة الوافدة على مدينة الجزائر، ليكون تساؤلنا في هذه الدراسة على النحو التالي: ما هي المعطيات التي تقدمها لنا عينة الدراسة عن جماعة البساكرة؟ وكيف كان واقع هذه الجماعة خلال هذه الفترة؟

1- التعريف برصيد سلسلة بيت المال

يشتمل هذا الرصيد على 64 سجل موزعة على 11 علبة كما هو موضح في الفهرس المتعلق بالأرصدة الأرشيفية الموجودة على مستوى الأرشيف الوطني، وكما هو متوفر قصد اطلاع الباحثين عليه، غير أننا بتصفح هذا الرصيد نقف على غياب عدد من السجلات ويتعلق الأمر بالسجلات (6 - 60 - 61 - 62 - 63) هذا من جهة، من جهة أخرى فإننا نقف على تكرار بعض السجلات كما هو الحال مع السجلات (8 - 9 - 10 - 22 - 59).

والحقيقة أن هذا التكرار يكون اما تكملة للسجل الذي سبقه، كما هو حال السجل 10 من الفيلم 3 الذي توقف عند الورقة 146 وذكر في نهايته أنه تكملته تكون في الفيلم 4 وهو ما نجده فعلا عند تصفحنا للسجل 10 من الفيلم 4 (سجل بيت المال 10، 1769) وقد ارتبط هذا السجل بذكر الأملاك الموقوفة داخل مدينة الجزائر وخارجها وعائدة هذه الأملاك والمستفيدين منها ما بين 1182-1183هـ/ 1768-1769م وإلى جانب هذا نجد تكرارا فيما ورد ضمن هذه السجلات المذكورة لاسيما مع السجلين 8-9 من الفيلم 2 اللذين يتشابهان مع ما ورد في السجلين 8-9 من الفيلم 3، والتشابه بينهما كان حتى في أرقام ورقات التركات وبالحديث عن أرقام الورقات ولكي يتضح لنا الأمر نشير الى أن السجل 8 من الفيلم 2 يحتوي على 199 ورقة في حين نجد 193 ورقة في السجل 8 من الفيلم 3، وقد وقفنا على تكرار الكثير من التركات في السجلين، ما عدا بعض التركات التي وردت في سجل ولم ترد في الاخر، على غرار تركة أمة توفيت في الرحبة القديمة (سجل بيت المال 08، 1818)، وتركة يولداش مخنوق (سجل بيت المال 08، 1818)، وكذا مخلفات الرحماني البسكري (سجل بيت المال 08، 1818) وهذه تركات نجدها في السجل 8 من الفيلم 2، ولا نجدها في السجل الآخر.

بالنسبة للإطار الزماني لهذه الدفاتر فإنه يمتد ما بين 1699-1862، أما من حيث المكان فإن غالبية هاته السلسلة تشمل مدينة الجزائر وضواحيها أو كما يعرف بالفحوص، زيادة على مدينة البليدة هي الأخرى وضواحيها، وبخصوص ما يتعلق بالبليدة من سجلات فإننا نشير الى السجل (28 - 30 - 31 32 - 36 - 38 - 43)، حيث تشكل هاته الأخيرة مصدرا هاما للتاريخ الاجتماعي الاقتصادي لهذه النواحي لمن أراد العمل عليها، خصوصا وأن الدراسات التاريخية حول البليدة في العهد العثماني حسب حدود اطلاعنا قليلة جدا مقارنة بمدينة الجزائر، وما نشير اليه أيضا أنه يرد ذكر كل من مليانة وشرشال والقليعة في السجلات السالفة الذكر كما تذكر بعض الأوطان القريبة منها على غرار وطن بني خليل، ووطن الخشنة وبني موسى، وحتى في السجلات المتعلقة بمدينة الجزائر يرد ذكر البليدة لكن في حالات قليلة.

عند بداية السجلات في أولها نجد عبارات توضح غاية كتابة السجل وتاريخه ومن كان مشرفا على بيت المال حين عملية التقييد، ومن النماذج التي نشير إليها ما جاء في بداية

السجل2: **بسم الله الرحمان الرحيم وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله، هذا دفتر مبارك ميمون قيّد بحول من يقول للشيء كن فيكون، لحفظ متروك من مات من الجزائر من غير وارث أو غاب أو أسر وغير ذلك في مدة المعظم المحترم السيد علي بن رمضان التركي الناظروقت تاريخه على شغل المواريث المخزنية في أوائل قعدة الحرام من عام ألف ومائتين** (سجل بيت المال 02، 1818).

وأما السجل رقم 8 فكانت بدايته على هذا النحو: **الحمد لله ابتدأ هذا السجل المبارك لشغل المواريث المخزنية وحفظ أموال الأسارى والغيب (الغائبين) على ما جرت العادة ببلدنا الجزائر المحمية بالله تعالى... المعظم المحترم السيد سليمان بيت المالجي بتاريخ غرة محرم الحرام فاتح الشهور سنة ثلاثة وثلاثين ومائتين وألف من هجرة من له العزة والشرف** (سجل بيت المال 08، 1818)، في حين جاءت بداية السجل رقم 11 على النحو التالي: **الحمد لله ابتدأ هذا السجل المبارك بقوة الله تعالى، المعد لشغل المواريث المخزنية وجميع أموال الأسارى والغيب (الغائبين) كما جرت العادة في ولاية السيد خليل بيت المالجي في التاريخ شهر الله المعظم شعبان سنة احدى وأربعين ومائتين وألف من هجرة من له العزة والشرف صلى الله عليه وعى آله وصحبه وسلم تسليما صلاة تملأ العرش وما حواه وتحول بيننا وبين الشرومن نواه** (سجل بيت المال 11، 1826).

يتضح لنا من خلال النماذج التي سقناها تداول ثلاث شخصيات أشرفت على مؤسسة بيت المال طيلة 41 عام، ولا ندر كم كانت مدة كل شخصية على رأس المؤسسة، كما لا ندر أيضا إن تولت شخصيات أخرى الإشراف عليها خلال نفس الفترة.

هذا وتتباين أعداد أوراق كل سجل وعقب نهاية كل سجل نجد ذكرا لحجم السجل وطوله وعرضه، كما أنه تقريبا في نهاية كل سجل يتم إدراج وثائق تتعلق بالسجل تم إضافتها غير أنها ليست مرقمة، وبالنسبة للترقيم فإنه يرد في أسفل ورقات السجل على جهة اليمين بشكل منتظم من البداية الى النهاية، غير أننا نقف في بعض السجلات على بعض الاختلالات، ففي السجل رقم 14 تم الانتقال مباشرة من الورقة 1 الى الورقة 5، وعندما نصل الى الورقة 28 من نفس السجل نجد بعدها الورقة 44 ثم يصبح الرقم تنازليا الى غاية الورقة 29.

وفي السجل رقم 22 يبدأ الترقيم فيه من الورقة 25 ويأخذ شكلا تصاعديا الى غاية الورقة 78 ثم نجد ورقة غير مرقمة وبعدها الورقة 24 ثم يأخذ السجل ترقيما على التوالي من الورقة 1 الى الورقة 22 الذي ينتهي عندها.

أما السجل رقم 11 فقد حمل ترقيمين الأول في الأسفل كما ذكرنا من جهة اليمين والثاني في منتصف الورقة من جهة اليمين، حيث أنه من بداية الورقة 5 نجد أنه يقابلها رقم 275، وهكذا يسير السجل الى غاية نهايته، وتجدر الإشارة أن السجل يتوقف عند الورقة 267 مع وجود 9 ورقات تابعة للسجل لم ترقم وبهذا يصبح عدد ورقات السجل 276 ورقة، كما وقفنا على ثلاث سجلات غير مرقمة وهي (29-30-31).

كتبت هذه السجلات بلغة عربية تتخللها بعض الألفاظ العامية، أما عن الخط فهو خط مغربي يسهل قراءته على العموم ويتعذر أحيانا فهمه بسبب عدم وضوحه وكذا بسبب التصوير الغير جيد، وبسبب هذا يتصادف الباحث أحيانا مع معلومة تهمه، لكنه لا يستفيد منها بسبب عدم وضوح بعض الكلمات التي قد تكون مفتاحية وهو الأمر الذي صادفنا في كثير من المرات اضطررنا فيها الى التخلي عما ورد في بعض التركات تفاديا منا لتقديم قراءة خاطئة.

ترد التركات في هذه الدفاتر مرفوقة باسم الميت ووظيفته ومن له من الأهل زيادة على مكان إقامته وتاريخ وفاته، وفي بعض الأحيان نجد لقبه الذي اشتهر به أو العاهة التي كان مصابا بها، كما هو شأن ولد الزروق الذي كان يملك جنة وكان معروفا بالغني (سجل بيت المال 09، 1822) ونجد محمد الجيجلي الكفيف ابن العجوزة (سجل بيت المال 09، 1822) والسعيد المجنون الذي كان له أخ اسمه حمو توفي في بحيرة بباب الوادي (سجل بيت المال 09، 1822)، وأحيانا تسكت الوثائق عن بعض المعلومات أين يرد الاسم أو الجهة التي ينتمي اليها الميت فقط والمطلع على هاته الدفاتر يدرك أنها تشمل مختلف شرائح المجتمع من موظفين سامين ومن حرفيين كما تشمل العناصر الوافدة على المدينة من مختلف الجهات، زيادة على العنصر النسوي.

أما بخصوص التركات فأحيانا ترد بقيمتها المالية، وأحيانا ترد بشكل مفصل أين يتم ذكر طبيعتها من مال وملابس وجميع الأشياء المادية زيادة على قيمتها المالية، وإن كان للمتوفي

دين فإنه يتم ذكره وتصفيته، والأمر نفسه ان كان المتوفي قد أودع مالا عند شخص يتم ذكر اسمه وقيمة المال الذي في ذمته، وفي بعض الأحيان ترد ضمن بعض التركات وصايا أوصى بها المتوفي قبل وفاته تحدد الأشخاص المستفيدين.

وفيما يتعلق بطريقة كتابة المخلفات أو التركات فإنها ترد أحيانا بشكل منظم في ورقات السجل وان تعدت التركات حجم الورقة ينتقل الكاتب الى الجهة المقابلة ونجد عبارة " **تتمة تركة فلان** "، وأحيانا أخرى نجد التركات تكتب طريقة غير منظمة، هذا وقد وجدنا في السجل 20 رسم شجرة بعض العائلات عند تقسيم التركات، ويتعلق الأمر بالورقات (10-11-12-15).

مما يلاحظ عن السجلات هو عدم الترتيب من الناحية الزمنية، فمثلا كانت بداية السلسلة عند السجل 1 بتاريخ 1700/1699م، ونلاحظ تسلسلا في التواريخ الى غاية السجلين 8-9 الذين كانت بدايتهم بتاريخ 1233هـ/ 1818، في حين يعود بنا السجل 10 الى تاريخ 1182-1183هـ/ 1769م، كما أن السجل 64 رغم أنه الأخير من حيث الترتيب التسلسلي، إلا أنه يغطي زمنيا الفترة ما بين 1155-1159هـ/ 1742-1746م.

وآخر ما نختم به كلامنا حول وصف سلسلة بيت المال هو المزج بين تواريخ السنوات الهجرية والميلادية في السجلات التي تعود الى بدايات الاحتلال، ومما نسوقه في ها السياق ما جاء في بداية السجل 56 حيث كانت على النحو التالي: **الحمد لله وحده لا رب غيره ولا معبود سواه ابتدأ هذا السجل المبارك الميمون لحفظ أموال الفقراء الداخلة لبيت المال على اليد الحقير الذليل الراجي عفو المالك القدير محمد بن العربي بن حمودة أمين بيت المال في التاريخ، وضع في شوال سنة 1256 وفي يناير الفرنساوي 1837** (سجل بيت المال 56، 1837)، ومما يلاحظ أيضا عن السجلات التي تعود الى بداية الاحتلال هو ذكرها لأعمار المتوفين، الأمر الي لا نجده في السجلات التي تعود الى الفترة العثمانية، فعلى سبيل المثال نجد في السجل 23 ذكر حمو المزابي بن داود الذي توفي في سن الـ 25، علي القبايلي عن سن الـ 30، ومسعود البسكري عن سن ال30 (سجل بيت المال 23، 1831).

هذا ويبقى هذا الوصف الذي قدمناه وصفا نعتبره وصفا أوليا، حيث أن التعامل مع هذا السجلات يحتاج الى وقت طويل وجهد مضاعف، كما أن التدقيق أكثر فيها من شأنه الكشف عن جوانب أخرى.

2- جماعة البساكرة في مدينة الجزائر من خلال السجلين 8-9 من سجلات بيت المال

الحقيقة أنه بعد اطلاعنا على رصيد بيت المال تبين لنا ان السجلات 12 الأولى تغطي الفترة العثمانية وتحديدا من عام 1699 الى غاية عام 1840م التي ينتهي عندها السجل 12، وسنقتصر في مقالنا هذا على السجلين 8-9 المحفوظين في الفيلم 2 كنموذج للدراسة، حيث يمتد إطارهما الزماني ما بين 1233-1243هـ/1818-1828م، وقد سبق وان أشرنا الى العبارات التي افتتح بها السجل 8، وقد بلغ عدد أوراقه 199 ورقة، أما عن أبعاده فهي (الطول 42 سم - العرض 28 سم - الحجم 5 سم) في حين لم نقف على العبارة الافتتاحية للسجل 9، وقد بلغ عدد أوراقه 86 ورقة، أما عن أبعاده فإننا قمنا بتقييدها ثم ضاعت منا وعليه بعد الاطلاع على هذين السجلين توفرت لدينا 26 تركة تتعلق بالبساكرة، حاولنا من خلال تحليلها ومقارنة ما ورد فيها مع مصادر أخرى رسم صورة عامة عن هاته الجماعة، فما هي المعطيات التي تقدمها لنا هذه التركات؟ وكيف كان واقع هذه الجماعة خلال هذه الفترة؟

1.2 البساكرة داخل المدينة بين العزوبية والزواج

يأتي استقرار جماعة البساكرة داخل مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ضمن إطار الهجرة الداخلية من الريف الى المدينة، ونظرا الى أن المدينة كانت تشكل المركز وتشكل فضاء حضريا لما يتوفر فيها من مرافق للشغل والعمل، فإنها عرفت اقبالا وهجرة للسكان من المناطق الداخلية أطلق عليهم تسمية البرانية، على غرار البساكرة والجواجلة والأغواطيين والميزابيين والقبائل (غطاس، 2000 - 2001).

يمكننا التمييز بين صنفين البساكرة داخل المدينة من خلال عينة الدراسة، يمثل الصنف الأول صنف العزاب حيث بلغ عدد التركات المتعلقة بهم 20 تركة، أما الصنف الثاني فهم البساكرة المتزوجون ولم نسجل سوى 4 تركات، ويتعلق الأمر بكل من رمضان الذي كان أمين البساكرة ورد اسمه في تركة ابنته الولية عائشة جيء بها أوائل رمضان

1233هـ/ 1818م (سجل بيت المال 08، 1818)، وبسكري لم يذكر اسمه توفي عام 1818م ورد في تركته أن زوجته قبضت متروكه (سجل بيت المال 08، 1818)، زيادة على الحاج محمد البسكري الذي مات عام 1822م عن زوجته وأمه وثلاثة ذكور من أولاده أحدهم غائب لكن سبب غيابه مجهول ولم يتم ذكره (سجل بيت المال 09، 1822)، وكذا أحمد بن الشريف البسكري الذي توفي عام 1828م عن ابنه ولم ترد اسم زوجته (سجل بيت المال 9، 1822)، وعليه يتضح لنا أن غالبية البساكرة الوافدين على المدينة كانوا عزابا، وسنوضح في الجدول الموالي أسماء البساكرة العزاب وبعض أنشطتهم وسنوات وفاتهم، وللإشارة فإن بيار بوايي **Pierre Boyer** هو الآخر في دراسته حول المدينة خلال القرن 18م ذكر أن غالبية البساكرة الوافدين على المدينة هم عزاب، والغرض من إقامتهم هو جمع مبلغ من المال ثم العودة الى مواطنهم الأصلية(Boyer, 1963) .

الجدول1: البساكرة العزاب داخل مدينة الجزائر ما بين عامي 1818-1822

الاسم	طبيعة النشاط	الأهل	تاريخ الوفاة
محمد الرحماني البسكري	///	///	1818
مصطفى البسكري	إنكشاري	///	1818
بسكري	///	///	1818
بسكري	غسال	///	1818
بسكري	///	///	1818
الصديق البسكري	///	///	1818
بسكري	///	///	1818
بسكري	مداح	///	1818
بسكري	///	///	1818

بسكري	طالب من زاوية الجامع الأعظم	///	1818
عثمان البسكري	///	///	1818
بسكري	تحاف	///	1818
بسكري	///	///	1818
بسكري	نوتي	///	1818
محمد بن موال البسكري	حوات	///	1824
مسعود البسكري	///	أم غائبة، أخت مشكوك فيها، ولد عم	1823
مبارك البسكري	///	قيل له أب ببلده	1822
سليمان بن أحمد البسكري	///	أمه مسعودة بنت رابح، وأخيه	1822
الدريدي البسكري	عساس	ابني عم هما مؤيد ومحمد	1822
ساعد البسكري	///	ابن أخيه	1822

(المصدر: سجلات بيت المال: السجلين 8 - 9 الفيلم2)

من خلال ما ورد في الجدول يظهر لنا أن 10 بساكرة لم تظهر أسمائهم، والحقيقة أن سكوت التركات أحيانا عن الأسماء وأحيانا عن المهن والحرف وأماكن الإقامة من شأنه أن يحدث ضبابية بخصوص صاحب التركة، والأمر يتعلق بجميع الأفراد الوارد ذكرهم في سجلات بيت المال وليس البساكرة فقط، أما عن الأقارب الوارد ذكرهم في تركة المتوفي فإننا من أصل 20 تركة نعثر على 5 تركات ورد فيها بعض الأقارب كالأب والأم وأبناء العم وابن الأخ، وهذا مؤشر على العزوبية لأن الزوجة لم تذكر، فضلا عن التركات التي لم يذكر فيها أي قريب.

أما عن التركتين المتبقيتين لنا احداهما كانت لعبد اسمه محمد أعتقه الحاج محمد البسكري (سجل بيت المال 09، 1818) ولا نستبعد أن يكون هذا، الأخير متزوجا نظرا لورود عبارة "الحاج" التي توحي بكبر السن كما توحي بتأدية هذا الشخص لفريضة الحج، اما التركة الثانية لبابا حسن التي قبض منها بلقاسم البسكري (سجل بيت المال 09، 1818) خادمه ما قيمته 300 دراهم، وكلاهما كانتا عام 1233هـ/1818م.

2.2 البساكرة والانتشار داخل المدينة

كان البساكرة كغيرهم من الوافدين على مدينة الجزائر يقيمون في الحوانيت والدكاكين التي يشتغلون فيها زيادة على إقامتهم في بعض الفنادق، وهذا بسبب ظروفهم المادية الصعبة وتدني المستوى المعيشي عندهم، لأن غرضهم من الإقامة بالمدينة هو البحث عن عمل وجمع قدر من المال، ومن خلال عينة الدراسة التي تشمل 26 تركة نجد منها 14 تركة تطلعنا على أماكن إقامة البساكرة وضمن هذه الأخيرة نعثر على 12 مكان مختلفا يعكس لنا انتشار البساكرة، حيث نجد بسكريا (سجل بيت المال 08، 1818) لم يذكر اسمه توفي في الديوان عام 1818م، ومثله مبارك البسكري (سجل بيت المال 09، 1822) الذي توفي في نفس المكان عام 1822م، كما نجد بسكريين كانت وفاتهما في باب البحر هما الدريدي وساعد عام 1822م، أما باقي الأماكن فكانت على النحو التالي:

الجدول2: أماكن استقرار البساكرة داخل مدينة الجزائر

الاسم	مكان وسنة الوفاة	الاسم	مكان وسنة الوفاة
مصطفى الإنكشاري	باب عزون 1818	بسكري طالب	زاوية الجامع الأعظم 1818
بسكري	دار سركاجي 1818	عثمان البسكري	القسارية 1818
الصديق البسكري	العين الحمراء 1818	بسكري	الشماعين 1818
بسكري	فندق الروز 1818	بسكري	سيدي محمد الشريف 1818
بسكري	حمام السبوعة 1818	عثمان البسكري	سوق السمن 1818

(المصدر: سجلات بيت المال: السجلين 8 - 9 الفيلم2)

3. أنشطة جماعة البساكرة داخل المدينة

لقد تواتر عن البساكرة في بعض المصادر التي ترصد لنا الحياة اليومية للفئات الاجتماعية داخل مدينة الجزائر خلال العهد العثماني حيث نجدهم حمالين في الأسواق وفي ورشات الميناء، زيادة على التكلف بتنظيف الشوارع والمجاري المائية ونقل المياه الصالحة للشرب بين أزقة المدينة كما هو الحال مع فونتير دو بارادي **Venture De Paradis** الذي ذكر هذه الأشغال والخدمات (Paradis, 1898)، هذا وتطلعنا عينة الدراسة على 7 تركات نستثني منها تركة بسكري كان طالبا في زاوية الجامع الأعظم كما نقف على تركتين تتضمن عمل البسكري في الديوان، وبهذا فإننا أمام 5 أنشطة للبساكرة في ضوء عينة الدراسة على النحو التالي:

1.3 العمل في الديوان:

عند حديث فونتير دي بارادي **Venture De Paradis** عن قصر الداي وما يرتبط به، زيادة على ذكره لحاشية البلاط نجده يورد بأن أربعة بساكرة يعملون في قصر الداي ويتكفلون بشؤونه (Paradis, 1898)، زيادة على هذا نجد ما ورد في مذكرات الحاج الشريف أحمد الزهار أنه عقب وصول البايات من أقاليمهم إلى دار السلطان، وأخذهم قسطا من الراحة تتم دعوتهم من قبل البسكري خادم الداي لتناول الفطور معه وقد كان هؤلاء البساكرة يحصلون على هدايا في مختلف المناسبات كغيرهم من الخدم والموظفين داخل القصر (الزهار، 1974)، وضمن العينة التي اشتغلنا عليها عثرنا على تركتين واحدة لبسكري لم يرد اسمه (سجل بيت المال 08، 1818) توفي في الديوان عام 1818م، والثانية لمبارك البسكري (سجل بيت المال 09، 1822) التي توفي هو الآخر في الديوان عام 1822م.

2.3 العمل داخل البيوت:

قريبا من العمل في القصور يأتي العمل داخل المنازل كمظهر من مظاهر الرفاهية والمستوى المعيشي المرموق عند الأغنياء، وهي ظاهرة انتشرت في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني وقد كان البساكرة طرفا في هذا العمل، فبحسب شهادة القنصل الأمريكي ويليام شالر **William Shaler** فإنهم كانوا يستخدمون في المنازل لتمتعهم بثقة أرباب المنازل

(شالر، 1982)، ونفس الأمر نجده مع الأسير الألماني **بفايفر Pfeiffer** الذي ذكر في مذكراته بعد أن تم ترقيته من طباخ إلى طبيب للداي كان بسكريان تحت تصرفه يقومان بخدمته في إشارة عابرة منه م يذكر فيها اسميهما (بفايفر، 2009)، أما نحن فقد عثرنا على بلقاسم البسكري الذي كان خادما عند بابا حسن وقبض من تركة هذا الأخير بعد وفاته عام 1818م ما قيمة 300 دراهم (سجل بيت المال 09، 1822).

3.3 الحراسة:

من بين الخدمات التي تكفل بها جماعة البساكرة داخل المدينة أين كان يوزعهم أمينهم على شوارع المدينة وكانوا ينامون أمام الدكاكين (Show, 1830) حيث كنت التي أبواب المدينة تغلق بعد المغرب ولا تفتح إلا لمن اضطر للخروج ليلا (شالر، 1982)، وتتعلق التركة التي عثرنا عليها ضمن هذا السياق ببسكري عساس في باب البحر اسمه الدريدي (سجل بيت المال 09، 1822) عن ابني عمه مؤيد ومحمد عام 1822م، ولا ندر ان كان حارسا من حراس المدينة ليلا، أم أنه كان حارسا في باب البحر ومقيما هناك.

4.3 العمل في البحرية:

بالنسبة لعمل البساكرة في البحرية فإننا نقف على بعض الإشارات التي تتراوح بين بعض المصادر والوثائق، فالنسبة للأولى نجد ما ذكره الأمريكي جيمس ويلسن ستيفنز **James Wilson Stevens** في رواية مفادها محاولة 15 أسيرا الفرار من مرفأ مدينة الجزائر، لكن محاولة هؤلاء باءت بالفشل، إذ بمجرد اكتشاف أمرهم أطلقت سفارة الإنذار وأعطى وكيل الحرج تعليمات الجذافين من بسكرة لكي يلحقوا بالفارين وقد تمكنوا في الأخير من اللحاق بهم (ستيفنز، 2007) ويضيف أيضا في موضع آخر أن الداي أمر جماعة من البساكرة البحارة اللحاق بسفينة تحمل أسرى نابوليتانيين بقيادة طاقم جزائري غادرت الميناء يوم 14 جويلية 1796 حيث أنه نتيجة إصابة أحد الأسرى بالطاعون أراد الداي توقيف السفينة وإنزال المصاب لكيلا ينتشر المرض بين كل الطاقم وينتقل بعدها المرض من الميناء الى المدينة (ستيفنز، 2007)، أما عن الوثائق المتعلقة بهذا الجانب فقد أسفرت عينتا عن تركة تتعلق ببسكري نوتي رتبته نوتي (سجل بيت المال 08، 1818)، وتجدر الإشارة أن الأستاذة عائشة غطاس في دراستها حول الحرف والحرفيون في مدينة

الجزائر وقفت على نماذج من عقود أثبتت هذا الأمر كما هو شأن سعيد البسكري الذي كان يشتغل في مركب سعيد بن عمر، وأيضا عبد القادر البسكري الذي كان أمينا على الفلكاجية عام 1816م (غطاس، 2000 - 2001)، وقريبا من البساكرة البحارة لدينا تركة واحدة تتعلق بمحمد بن موال البسكري الحوات (سجل بيت المال 09، 1824) المتوفي عام 1824م.

5.3 الانخراط في الإنكشارية:

ورد في عينة الدراسة تركة واحدة تخص مصطفى البسكري الإنكشاري الذي توفي في دار الجيش بباب عزون عام 1818م (سجل بيت المال 08، 1818)، الأمر الذي يعكس انخراط العناصر المحلية في الجيش الإنكشاري، فالبساكرة كغيرهم من العناصر الوافدة التي كانت هي الأخرى منخرطة في سلك الإنكشارية، وتشير احدى الدراسات التي اهتمت بالجيش الإنكشاري في مدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر على ضوء الوثائق الأرشيفية الى بعض العناصر برتب مختلفة على غرار مصطفى آغا التلمساني، الحاج إبراهيم بلكباشي القسنطيني، حسن الإنكشاري بن جعفر المستغانمي، محمد بن حسن البلكباشي اللمداني، وغيرها من الأسماء من مختلف الجهات (عمريوي، 2009).

الخاتمة

في الأخير يتضح لنا مما سبق أهمية سجلات بيت المال في كتابة التاريخ الاجتماعي لمجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني وكذا تتبع واقع مختلف فئات المجتمع، وعلى الرغم من صعوبة قراءة ما يرد في هذه السجلات وضرورة تخصيص وقت كبير لها في ظل عدم رقمنتها، الا أنها تبقى مصدرا رئيسيا لا يمكن الاستغناء عنه، وقد كشفت عينة الدراسة التي اشتغلنا عليها في هذا المقال عن جوانب مهمة من حياة البساكرة داخل مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني، تتوافق مع ما ورد في بعض المصادر، وأحيانا تكون هي المصدر الوحيد في ظل سكوت أو غياب المصادر في جانب معين، ولا شك أن توسيع العينة والاشتغال على عدد معتبر من السجلات من شأنه أن يبرز جوانب أخرى عن هاته الجماعة وهو ما نطمح اليه مستقبلا في دراسة شاملة.

قائمة المصادروالمراجع:

الأرشيف:

- (1769). سجل بيت المال 10. الجزائر: الأرشيف الوطني الجزائري.

- (1818). سجل بيت المال 08. الجزائر: الأرشيف الوطني الجزائري.

- (1818). سجل بيت المال 09. الجزائر: الأرشيف الوطني الجزائري.

- (1822). سجل بيت المال 09. الجزائر: الأرشيف الوطني الجزائري.

- (1824). سجل بيت المال 09. الجزائر: الأرشيف الوطني الجزائري.

- (1826). سجل بيت المال 11. الجزائر: الأرشيف الوطني الجزائري.

- (1831). سجل بيت المال 23. الجزائر: الأرشيف الوطني الجزائري.

- (1837). سجل بيت المال 56. الجزائر: الأرشيف الوطني الجزائري.

- (1818). سجل بيت المال 02. الجزائر: الأرشيف الوطني الجزائري.

الكتب:

- احمد الشريف الزهار. (1974). مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار. الجزائر: الشركة الوطنية للنشروالتوزيع.

- جامس ويلسن ستيفنز. (2007). الأسرى الأمريكان في الجزائر 1785-1797. (علي تابليت، المترجمون) منشورات ثالة.

- سيمون بفايفر. (2009). مذكرات جزائرية عشية الاحتلال. (أبو العيد دودو، المترجمون) الجزائر: دار الهومة.

- ويليام شالر. (1982). مذكرات ويليام شالر؛ قنصل أمريكا في الجزائر 1816 - 1824. (اسماعيل العربي، المترجمون) الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع.

الاطروحات:

- عائشة غطاس. (2000 - 2001). الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر 1700 - 1830. الجزائر: كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02.

- فهيمة عمريوي. (2009). الجيش الإنكشاري بمدينة الجزائر خلال القرن 18م؛ دراسة اجتماعية من خلال سجلات المحاكم الشرعية. الجزائر: كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02.

Ouvrages :

Boyer, P. (1963). La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française. Paris: Librairie Hachette.

Paradis, V. d. (1898). Alger au XVIIIe siècle . Alger : Typographie Adolphe Jourdan.

Show, T. (1830). Voyage dans la régence d'Alger. (J. M. Carthy, Trad.) Paris: Marlin Éditeur.